سنُسأَل يوم القيامة

الحمد لله العليم الحليم؛ يُضاعِف الحسنات، ويَعفو عن كثيرٍ من السيِّئات، ولا يُؤاخِذ العِباد إلا بما كسبوا؛ ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِنْ تَكُ حَسَنَةً يُضَاعِفْهَا وَيُؤْتِ مِنْ لَدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا﴾.

نحمده على وافر نِعَمِه، ونشكُره على جَزِيل عَطاياه. وأشهد أن لا إله إلا الله وحدَه لا شريك له؛ يُعطِي ويمنَع، ويرفَع ويضَع، ﴿وَكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ بِمِقْدَارٍ﴾.

وأشهد أنَّ محمدًا عبده ورسوله؛ بلَّغ الرسالة، وأدَّى الأمانة، ونصَح الأمَّة، وبلَّغ البَلاغ المبِين، صلَّى الله وسلَّم وبارَك عليه وعلى آله وأصحابه وأتباعه إلى يوم الدين.

أمَّا بعد: فاعلموا أنَّ الدنيا لا تَدُوم على حال، وأنها إلى زَوال، وأنَّ الآخِرة هي دار القرار.

أيها الناس: ربنا - جلَّ جلاله - يُحاسِبنا على مثاقيل الذر؛ ﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ﴾.

عبادَ الله: سنُسأَل غدًا عن أمور وأعظمها وأكبرُها هذا الدِّين الذي حُمِّلْنَاه، ماذا تعلَّمنا منه؟ وماذا أدَّينا من فرائضه؟ وهل قمنا بواجب

الدعوة إليه؟ وهل صبرنا على الأذى فيه أو لا؟

سيَسألنا الله – تعالى – عن الرُّسُل؛ هل بلَّغونا رسالات ربِّنا، وسيُسأَل الرُّسُل عَنَّا؛ هل أجبناهم واتبعناهم؛ ﴿فَلَنَسْأَلَنَّ الَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْأَلَنَّ الْمُرْسَلِينَ﴾، ﴿يَوْمَ يَجْمَعُ اللَّهُ الرُّسُلَ فَيَقُولُ مَاذَا أُجِبْتُمْ﴾ ﴿وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَكَ وَلِقَوْمِكَ وَسَوْفَ تُسْأَلُونَ﴾.

وقال النبي صلى الله عليه وسلم في خطبة الوداع: (وأنتُم تُسأَلون عنِّي، فما أنتُم قائِلُون؟)؛ والمشركون يُسأَلون عن شركهم بالله وافترائهم على ملائكته ﴿وَيَجْعَلُونَ لِمَا لَا يَعْلَمُونَ نَصِيبًا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ تَاللَّهِ لَتُسْأَلُنَّ عَمَّا كُنْتُمْ تَفْتَرُونَ﴾ ﴿وَجَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبَادُ الرَّحْمَنِ إِنَاثًا أَشَهِدُوا خَلْقَهُمْ سَتُكْتَبُ شَهَادَتُهُمْ وَيُسْأَلُونَ﴾.

وهكذا كلُّ مَن كذب على الله ونسَب إلى دينه ما ليس منه، أو أخرَج منه ما هو منه، فأحلَّ المحرَّمات أو حرَّم المباحات؛ اتِّباعًا لأهواء الناس وأذواقهم، فويلٌ له من يومٍ يُسأل فيه عن ذلك كله، ومَن قرَأ قول الله تعالى: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْؤُولًا﴾.

هابَ أن يَتلاعَب بشريعَة الله فيقول فيها بهوى أو بجهل، إلا مَن حُرِم التوفيق فقدَّم العاجِلة على الآجِلة، وآثَر الدنيا على الآخِرة، فويلٌ له، وويلٌ لِمَن استَمَع إليه فاتَّبَعَه في ضلاله، وسيُسأَل عن سمعه وبصره وفؤاده.

نُسأَل في ذلك الموقف العظيم عن أعمالنا، خيرها وشرها، وصغيرها وكبيرها؛

﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ * عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾.

وقال النبي صلى الله عليه وسلم في خطبة يوم النحر بمنًى: (وستَلْقَون ربَّكم فسيَسألكم عن أعمالِكم). رواه البخاري.

وأوَّل عملٍ نُسأَل عنه يوم القيامة صلاتنا؛ قال النبي صلى الله عليه وسلم: (إنَّ أوَّل ما يُحاسَب به العبد يوم القيامة من عمله صلاته، فإن صلَحتْ فقد أفلَح وأنجَح، وإنْ فسدَتْ فقد خاب وخَسِر، فإن انتَقَص من فريضته شيءٌ قال الرب – عز وجل –: انظروا هل لعبدي من تطوُّع، فيكمل بها ما انتَقَص من الفريضة، ثم يكون سائر عمله على ذلك). رواه الترمذي.

ومن الأعمال التي يُسأَل عنها العِباد يوم القيامة: موقفُهم من المنكرات، وهل أدوا حقَّ الله – جل في علاه – في إنكارها أو لم يؤدُّوه؛ كما روى أبو سعيدٍ الخُدريُّ – رضِي الله عنْه – قال: سمعت رسُول الله صلى الله عليه وسلم يقول: (إنَّ الله لَيَسأَلُ العبدَ يومَ القيامة حتى يَقُول: ما منعك إذ رأيتَ المنكر أن تُنكِره؟ فإذا لقَّن الله عبدًا حجَّته قال: يا رب، رجوتك وفرقت من الناس)؛ وهذا ما جعل أبا سعيدٍ يبكي؛ فإنَّه روى عن رسُول الله صلى الله عليه وسلم قوله: (ألاَ لاَ يمنعنَّ رجلاً هيبةُ الناس أن يقول بحقٍّ إذا عَلِمَه)، فبكى أبو سعيد وقال: "قد والله رأينا أشياء فهِبنَا". رواه ابن ماجه.

ويُسأَل العبد يوم القيامة عن وفائه بما عقَد على نفسه من عقود ونذور، وما قطَع عليها من وعود وعهود، سواء كانت لله – تعالى – أم كانت لخلقه، فويلٌ لِمَن أخلَف وعدَه، ونكَث عهدَه، ولم يَفِ بعقده؛ ﴿وَأَوْفُوا

بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْؤُولًا﴾.

وما نرفل فيه من نعيم العافية، والصحَّة والأمن، والشبع والجدة، سنُسأَل عنه يوم القيامة؛ ﴿ثُمَّ لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ﴾.

قال قتادة – رحمه الله تعالى –: "إنَّ الله – تعالى – سائلٌ كلَّ ذي نعمةٍ فيما أنعم عليه".

وقال الصحابة – رضِي الله عنْهم – للنبي صلى الله عليه وسلم: "عن أيِّ نعيمٍ نُسْأَلُ؛ وإنما هما الأَسوَدان: الماء والتمر، وسيوفنا على رِقابنا، والعدوُّ حاضرٌ؟ فعن أيِّ نعيم نُسأَل؟!"، قال: (إن ذلك سيكون). رواه ابن ماجه.

ومن أعظم النِّعَم: العمر والصحة والمال والعلم، وكلُّ هذه يُسأَل عنها العبدُ يومَ القيامة؛ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (لا تزول قَدَمَا عبدٍ يوم القيامة حتى يُسأَل عن عمره فيمَ أَفنَاه، وعن علمِه فيمَ فعَل، وعن ماله من أين اكتَسبَه وفيمَ أنفقه، وعن جسمه فيمَ أبلاه). رواه الترمذي.

وكلَّما زاد مال العبد طالَ حسابُه؛ قال النبي صلى الله عليه وسلم: (اثنتان يكرهُهما ابن آدَم: المَوْتُ، والموت خَيْرٌ للمؤمن من الفِتنَة، ويَكرَه قلَّة المال، وقلَّة المالِ أقلُّ للحساب). رواه أحمد.

وقال أبو ذر – رضِي الله عنْه –: "ذو الدرهمين يومَ القيامة أشد حسابًا من ذي الدرهم".

.....

الخطبة الثانية

الحمد لله حمدًا طيبًا كثيرًا مباركًا فيه كما يحبُّ ربنا ويرضى، نحمَده فله الحمدُ في الآخِرة والأُولى، ونستغفره لذنوبنا فمَن يغفر الذنوب إلا الله؟ وأشهد أن لا إله إلا الله وحدَه لا شريك له، وأشهد أنَّ محمدًا عبده ورسوله، صلَّى الله وسلَّم وبارَك عليه وعلى آله وأصحابه، ومَن اهتدى بهداهم إلى يوم الدين.

أمَّا بعد: أيُّها الناس، مَشهَد القيامة عظيم، وموقف الحساب شديد، ومَن نُوقِش الحسابَ عُذِّبَ، ولا بُدَّ للسؤال من إجابة.

هذا؛ ومن أعظم ما يُسأل عنه العبدُ يوم القيامة ما تولَّى من رعيَّة، قلَّتْ رعيَّته أو كثُرت، قربت منه أو بعدت؛ قال النبي صلى الله عليه وسلم: (كلُّكم رَاعٍ ومسؤول عن رعيَّته؛ فالإمام راعٍ وهو مسؤول عن رعيَّته، والرجل في أهله راعٍ وهو مسؤولٌ عن رعيَّته، والمرأة في بيت زوجها راعية وهي مسؤولةٌ عن رعيَّتها، والخادم في مال سيِّده راعٍ وهو مسؤولٌ عن رعيَّته، فكلُّكم راعٍ وكلُّكم مسؤولٌ عن رعيَّته). متفق عليه.

وسؤاله عنهم يتضمَّن قيامه بحقوق الله تعالى فيهم، وحقوقهم على راعِيهم، فيشمَل جوانب الدِّين والدنيا، قال ابن مسعود وابن عمر رضي الله عنهم: "إنَّ الله - عز وجل - سائلٌ كلَّ ذي رعيَّة فيما استرعاه: أقام أمر الله فيهم أم أضاعَه، حتى إنَّ الرجل ليُسأَل عن أهل بيته".

وهذا مما يُزهِّد في الولايات ولو اشرأبَّت لها أعناق الرجال، وباعَ كثيرٌ منهم دينَه لأجلها، ودفقوا ماء وجوههم لنيلها، فالسلامة منها لا يَعدِلها

شيء؛ لعظيم أمرها، وثقل حملها، قال النبي صلى الله عليه وسلم: (ويلٌ للأمراء، ويلٌ للعرفاء، ويلٌ للأمناء، (وهم الوزراء)، لَيتمنَّى أقوامٌ يوم القيامة أنَّ ذوائبهم كانت معلَّقة بالثريا يتذبذبون بين السماء والأرض، وأنهم لم يلوا عملاً). رواه أحمد.

وليس ذلك لشيءٍ إلاَّ لأنها أمانات تحمَّلوها يُسأَلون عنها، وحقوق للعباد عليهم ويلٌ لهم إن ضيَّعوها، كما قال النبي صلى الله عليه وسلم: (كانت بنو إسرائيل تَسُوسُهم الأنبياء؛ كلَّما هلك نبي خلَفَه نبي، وإنه لا نبيَّ بعدي، وستكون خلفاء فتكثر)، قالوا: فما تأمرنا؟ قال: (فُوا ببيعة الأول فالأول وأعطوهم حقَّهم؛ فإنَّ الله سائلهم عمَّا استَرعاهم). متفق عليه.

ألاَ فاتَّقوا الله ربَّكم وأعدُّوا لأسئلة القيامة عدَّتها، وحضِّروا لها إجابتها؛ بأداء ما حُمِّلتم من أمانات، سواء فيما يتعلَّق بحقوق الله أو بحقوق عباده عليكم، حين يُوقَف الناس للسؤال، فلا نصير ولا ظهير إلا العمل الصالح؛ ﴿وَقِفُوهُمْ إِنَّهُمْ مَسْؤُولُونَ * مَا لَكُمْ لَا تَنَاصَرُونَ * بَلْ هُمُ الْيَوْمَ مُسْتَسْلِمُونَ﴾.